إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدّون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أو أمرًا
بمعروف أو نهيًا عن منكر أو نطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أتنكرون أن عليكم
لحافظين كرامًا كاتبين وعن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد أما يستحي
أحدكم أن لو نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه وعن
بعض الصحابة رضي الله عنهم إن الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى إليّ من الماء البارد إلى الظمآن فأترك
جوابه خيفة أن يكون فضلًا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم
للكلب والحمار اللهم اخزه **واعلم** أن فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله قال الله تعالى
لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس وقد قال
صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس
فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا وأنت
أطولنا علينا طولًا وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستهوينكم
الشيطان إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق في الثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى
الزيادة المستغنى عنها **وقال** ابن مسعود أنذركم فضول الكلام بحسب امرئ ما بلغ به حاجته
وقال مجاهد إن الكلام ليكتب حتى إن الرجل ليسكت ابنه أبتاع لك كذا وكذا فيكتب له كذبة
وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك
فاعمل ما شئت وأكثر أو أقلل وروي أن سليمان بن داود عليه السلام بعث بعض عفاريته وبعث
نفرًا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فأخبروه أنه مر على السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى
الناس وهز رأسه فسأله سليمان فقال عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن
الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون وقال إبراهيم التيمي المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر فإن كان له تكلم وإلا
أمسك والفاجر إنما لسانه رسلًا رسلًا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه
ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله
عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شفتان وأسنان قال أفما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي
رواية أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال ما أوتي رجل شرًا من فضل لسانه وقال
عمر بن عبد العزيز إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة وقال بعض الحكماء إذا كان الرجل
في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكتًا فأعجبه السكوت فليتحدث وقال يزيد بن
أبي حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع وإن وجد من يكفيه وإن في الاستماع

سلامة وفي الكلام

٦١

سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر إن أحق ما طهّر الرجل لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة
سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرًا لها وقال إبراهيم يهلك الناس في خلتين فضول
المال وفضول الكلام فيما لا يعني **الآفة** الثالثة الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال
النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم
المكروهة فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهو حرام **وأما** الكلام فيما لا يعني أو أكثر مما يعني فهو
ترك الأولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل وأكثر الناس
يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض في الباطل وأنواع
الباطل لا يمكن أن تحصى لكثرتها فلذلك لا يتخلص منه إلا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين
والدنيا وفي هذا الجنس تقع من الكلمات ما يهلك صاحبها وهو يستحقرها وقد قال
بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ بها ما
بلغت يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة فكان علقمة يقول كم من كلام قد
منعنيه حديث بلال بن الحارث وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها
جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا وقال أبو هريرة إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم سبعين خريفًا
وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالًا يرفعه الله تعالى بها في الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر
الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل وإليه الإشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين
وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان أكثر الناس ذنوبًا يوم
القيامة أكثرهم كلامًا في معصية الله تعالى وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول
توضؤوا فإن بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة
والنميمة والفحش وغيره بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر في التوصل
إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها ويدخل فيه الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية
ما جرى من قتال الصحابة رضي الله عنهم على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه
خوض في الباطل **الآفة** الرابعة المراء والجدال وذلك منهي عنه فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تمار
أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدًا فتخلفه وقال صلى الله عليه وسلم ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته
ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة ومن ترك
المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول ما عهد
إليّ ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال أيضًا ما ضل قوم إلا أوتوا
الجدل وقال أيضًا لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقًا وقال أيضًا ست من

بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت

Copyright © King Saud University